المحور رقم (05): التقنيات الأساسية في التوجيه والإرشاد

محاضرة رقم (12): الملاحظة الإرشادية counseling observation

تمهيد:

تعتبر المُلاحظة من أقدم وأكثر الوسائل المستخدمة في جميع المعلومات، فلِلملاحظة أهميةٌ في تقييم التلميذ في المجالات السلوكية مثل المهارات، والاتجاهات الاجتماعية، والميول الشخصية، والتكيف الاجتماعي، وتُعتبر الملاحظة من أفضل وسائل ومصادر جمع المعلومات للمُرشِد النفسي الذي يتعامل مع التلميذ وخاصة في مجال المدرسة، سواء كانت عملية الإرشاد والتوجيه التي يقوم بها الأخصائي فرديةً أو جماعية؛ ومن خلال هذه المحاضرة سوف نحاول تحقيق الأهداف التالية:

- تحديد مفهوم الملاحظة.
- تحديد أهدافها وأهميتها.
- التمييز بين أنواع الملاحظة.
- تحديد خطوات الملاحظة ومهارات المُرشِد في كل خطوة.

1. مفهوم الملاحظة:

يمكن تعريف الملاحظة على أنها: "الانتباه إلى ظاهرةٍ أو حادثةٍ معينةٍ أو قضيةٍ معينةٍ بهدف الكشف عن أسبابها وقوانينها." (ملحم، 2000، ص 131)

الملاحظة من الأدوات الهامة التي ينبغي للمُرشِد استخدامها بفنٍّ ومهارةٍ عالية، ويُشير **حامد زهران** بقوله: "هي ملاحظة الوضع الحالي للعميل في قطاعٍ محدودٍ من قطاعات سلوكه، وتسجيله لموقفٍ من مواقف سلوكه، وتشمل ملاحظة السلوك في مواقف الحياة الطبيعية، ومواقف التفاعل الاجتماعي بكل أنواعها، في اللعب والعمل والراحة والرحلات والحفلات، وفي مواقف الإحباط والمسؤولية الاجتماعية والقيادة والتبعية والمناسبات الاجتماعية، بحيث يتضمن عيناتٍ سلوكيةٍ لها مغزى في حياة العميل." (زهران، 1980، ص 173)

2. أنواع الملاحظة types of observation: تنقسم الملاحظة من حيث درجة الضبط إلى:

1.2. ملاحظة بسيطة: هي التي تستخدم غالباً في البحوث والدراسات الاستكشافية، والتي لا يكون للباحث حولها معلومات كافية؛ وتُستخدم هذه الملاحظة في الظروف العادية، دون إخضاع الظاهرة موضع البحث للضبط، ودون استخدام الأدوات الميكانيكية كالمسجلات والكاميرات.

2.2. ملاحظة منتظمة: وهي التي يحدد الباحث فيها نوع البيانات المراد جمعها حول الظاهرة موضع الدراسة، وتمتاز هذه الملاحظة بتوافر شروط الضبط فيها، وتحدد فيها زمان مكان الملاحظة بشكل مسبق. وتُستخدم هذه الملاحظات غالباً في الدراسات الوصفية واختبار الفرضية. وتنقسم إلى:

3.2. الملاحظة بدون مشاركة: وتُسمى كذلك بالملاحظة البسيطة، فيها يقوم الباحث بدراسة الظاهرة موضع الدراسة عن كثب دون أن يشترك في أي نشاطٍ تقوم به الظاهرة؛ مثل: مراقبة العمال في أماكن العمل عن بعد، وملاحظة سلوك مجموعةٍ من الأطفال.

4.2. الملاحظة بالمشاركة: وهنا يقوم الباحث بدورٍ إيجابيٍّ وفعالٍ في أحداث المُلاحَظْ، حيث يشارك الباحث في الظاهرة موضع الدراسة. (أنجرس، 2006، ص 185)

3. خطوات الملاحظة البسيطة بالمشاركة.

- تحديد الهدف من الملاحظة.
- تحديد مجتمع الدراسة.
- دراسة الخصائص الاجتماعية العامة لمجتمع الدراسة.
- محاولة الدخول إلى مجتمع الدراسة دون ملاحظة الآخرين.
- إجراء الدراسة عن طريق مراقبة الأفراد وملاحظة تصرفاتهم وتدوين المعلومات اللازمة.
- أن يكون لدى الباحث القدرة على معالجة المشاكل التي تطرأ أثناء إجراء الدراسة.

- الخروج بحذرٍ من المجتمع دون ملاحظة الآخرين، تحليل البيانات والمعلومات التي تم تجمعها، ثم كتابة التقارير والنتائج النهائية.

4. أدوات الملاحظة الإرشادية Observational Tools:

تتضمن أدوات الملاحظة الإرشادية عدداً من الأدوات وهي (أشرف على عبده، 2000، ص 81):

1.4. لوحات المشاركة:

وتستخدم لتسجيل مشاركة الفرد أو الأفراد في نشاط جمعي،أو مناقشة جماعية.

2.4. قوائم السلوك check lists:

وتشتمل قائمة السلوك على عدد من الخطوات، مثل الأنشطة والسلوكيات التي يسجلها القائم بالملاحظة عند وقوع الحدث، وهي تشبه في ظاهرها مقاييس التدريج، وهي تساعد المُرشِد المُلاحَظ في ما إذا كانت سمةٌ أو خاصيةٌ موجودةً من عدمه، وهي تُفيد في تقويم الأنشطة الطُّلابية والتعليمية التي تشتمل على الإنتاج وعلى العملية التعليمية، وأيضاً تُستخدم في جوانب من التوافق الشخصي الاجتماعي للعميل.

3.4. مقاييس الشخصية والتقدير rating scales:

فهي تشبه مقاييس التقدير قوائم الصفات (قوائم المراجعة)، وهي تُساعد المُرشِد على أن يُشير إلى الحالة أو نوعية ما يقوم بملاحظته، وتُتيح مقاييسُ التقدير إجراءاتٍ منتظمةٍ للحصول على تسجيل وتقرير أحكام القائم بالملاحظة.

وهناك عدةُ أنواعٍ من مقاييس التقدير، منها المقاييس الرقمية التي تُحدد قيماً رقميةً لمستويات السلوك مثل (ممتاز=5، فوق المتوسط=4، متوسط=3، تحت المتوسط=2، متأخر=1)، وتُعرف هذه المقاييس بمقاييس التقدير الرقمية.

وهناك نوعٌ آخر من مقاييس التقدير البيانية، ويعتمد على وجود خطوطٍ بيانيةٍ تقع عليها التقديرات، ويمكن اختيار الدرجة المناسبة مباشرة.

أما النوع الثالث، فيُعرَف بما يسمى بمقاييس التقدير المقارن، وهو يُزود المُرشِد النفسي القائم بالتقدير بعيناتٍ معياريةٍ ذات درجات جودةٍ مختلفةٍ ليُقارن بها سلوك المفحوص.

أما النوع الرابع، فيُعرف باسم مقاييس الترتيب، حيث يُعطى لكل فردٍ من العملاء رتبةً في السلوك، أو الخاصية المُلاحَظَة، حيث يُوضع أعلى الأفراد في أعلى المقياس، وأدناهم في أسفله، ثم يُرتَّبُ باقي الطلبة بينهم.

والنوع الخامس، يُعرف بما يسمى مقاييس المقارنات الثنائية المزدوجة، حيث يقارَنُ فردٌ بآخر، ويحدد أيهما أكبر في الصفة أو الأداء من الثاني ... وهكذا..الخ.

4.4. التسجيلات القصصية anecdotal records:

وهذه التسجيلات تسجِّل أحداثاً معينةً خلال فترةٍ محدودة، وهي تُزوِّد المُدرس أو المُرشِد بصورة طولية عن تغييراتٍ معينةٍ بالنسبة لطالب معين، ويجب أن تشمل على عناصر وهي:

- ينبغي أن تشتمل على وصف واقعي لما حدث، ومتى حدث، وتحت أي ظروف حدث هذا السلوك.
- يجب أن يكون التفسير والإجراء الذي يوصى به مستقلٌ عن وصف السلوك.
- يجب أن يشتمل كل سجلٍّ قصصي على تسجيل لحادثٍ واحد.
- يجب أن يكون الحادث الذي يُسجَّل ذا أهميةٍ لنمو وتطور الطالب.

وهذه الطريقة تتميز بسهولتها وتلقائيتها، ولكنها في نفس الوقت تستهلك كثيراً من الوقت في إعدادها.

5. مزايا الملاحظة وعيوبها:

يذكر كل من **أبو أسعد** و**الغرير** أن استعمال الملاحظة كأداء في جمع البيانات والمعلومات عدة مزايا، بخاصة في دراسة الظواهر الاجتماعية، ودراسة تحليل المضمون والوثائق.

1.5. أهم مزاياها:

- دقة المعلومات بسبب ملاحظة الظواهر في ظروفها الطبيعية.

- الملاحظة من أكثر وسائل جمع المعلومات فائدةً للتعرف على الظاهرة أو الحادثة.
- دقة التسجيل بسبب إجراءه أثناء فترة الملاحظة.
- أسلوب الملاحظة الأسلوب الأكثر أهميةً في حال عدم التمكن من استخدام أسلوبي المقابلة والاستبيان لجمع المعلومات.
- يمكن إجراء الملاحظة على عددٍ قليلٍ من المفحوصين.
- تمكنك كأخصائي نفسي في جمع بياناتٍ تحت ظروفٍ سلوكيةٍ مألوفة.
- تمكنك كأخصائي نفسي في جمع حقائق عن السلوك في وقت حدوثه.
- لا تعتمد كثيراً على الاستنتاجات.
- تمدنا الملاحظة الإرشادية بتسجيلٍ للسلوك الواقعي كما يحدث.
- تطبق الملاحظة في المواقف الطبيعية للسلوك.
- يمكن استخدامها مع الأطفال وغيرهم من الحالات التي يكون التخاطب اللفظي معها صعبا. (عبد الهادي والعزة، 1999، ص 26)

2.5. أما عيوب الملاحظة:

- يُغيِّر الملاحظون من سلوكهم إذا شعروا بإجراء الملاحظة.
- قد تستغرق الملاحظة وقتاً طويلاً وجُهداً وتكلفةً مرتفعةً من الباحث. (أبو أسعد والغرير، 2009، ص 46)
- تدخل الذاتية ورجوع الملاحظ في ملاحظته إلى الإطار المرجعي الشخصي وإلى خبراته الشخصية.
- لكي تتم ملاحظة السلوك في إطاره الطبيعي، لا يخبر العميل بذلك مسبقا، وقد يتعارض هذا مع مبدإٍ رئيسيٍ من أخلاقيات الإرشاد النفسي، وهو تعريف العميل، بل واستئذانه في ذلك. (زهران، 1977، ص 202)

نشاط التقويمي:

- ما هي الشروط التي يجب أن تحويها الملاحظة كي تؤدي دورها على أحسن وجه؟
- ما هي مزايا الملاحظة؟